الفصل الثالث

مفهوم النفس السوية

- النفس السوية والشخصية السوية .
- مفهوم الشخصية السوية .
- الشخصية السوية فى القرآن .
- ملامح الشخصية السوية .
- الميزات السلوكية للشخصية السوية .
- الشخصية المستقلة .
- التوازن فى الشخصية .

النفس السوية .. والشخصية السوية

● مفهـوم النفس السـوية :

لم يكن الانسان فى يوم من الأيام أشد حاجة الى فهم شـخصيته مما هو عليه الآن ، ذلك لأن ثمة صرخة مدوية ترتفع الآن فى كل مكان معلنة أن الانسان قد نمت معرفته بالعالم الطبيعى وتقدمت سـيطرته عليه ، فأصبح يرتاد الفضاء ووصل الى القمر ، حتى أصبح قاب قوسين أو أدنى من الهلاك . فلقد وصل الانسان اليوم الى مرحلة من القدرة والمهارة يكاد معها أن يدمر نفسـه بنفسه . ولم يعد أمامنا اليوم الا أن ننمى معرفتنا بالطبيعة البشرية ، حتى يحدث التوازن اللازم فى المعرفة الانسانية ، وحتى نكون أكثر قدرة على التحكم فى العوامل التى تسير بنا الى طريق الدمار[1] .

ويؤيد هذا القول ما جاء فى أحد مراجع « العلاقات الانسانية »[2] حيث ذكر المؤلف أن المجتمع الغربى قد فشل فى أن ينمى الأسـاليب والوسائل والمهـارات اللازمة فى المجـالات الاجتماعيـة والشـخصية والعلاقات الانسانية ، حتى يتمكن من أن يساير التقدم الذى أحرزه فى المهارات والوسائل والأساليب غير الانسانية السائدة فى المجتمع . وكان يشـير بقوله هـذا الى التقدم الذى حققته أمريكا فى مجـال العـلوم الطبيعية وغزو الفضاء واستخدام الأسـلحة النووية التى قـد تعجـل بفناء البشرية ، دون أن يواكب ذلك التقدم الملائم فى مجال العـلوم الانسـانية .

---

(١) محمد عماد الدين اسماعيل : **الشخصية والعـلاج النفسى** ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ٣ ـ ٤

(٢) Berrien, F.; **Comments and Cases on Human Relations** , New York : Harper, 1951, pp. 4 — 6.

ويبدأ الانسان بالتفكير فى ذاته عندما يدرك أن قدرته على التوافق قد اضمحلت ، وأن علاقته بالبيئة المحيطة به لم تعد علاقة ود وأمن ، وعندما يشعر بحدة القصور وانعدام التكافؤ بينه وبين العالم المادى والاجتماعى الذى يعيش فيه ، وعندما يشعر بالعزلة والفرقة بينه وبين الآخرين .. عندئذ يرتد الانسان الى نفسه ، وتتجسم فى أوهامه نقائصه . ويشعر بحاجة ملحة الى أن يختبر ذاته ويحاسبها ويحاول جاهدا أن يتفهمها . ولكن ليس معنى أن يرتد الانسان الى نفسه وأن يتفهم شخصيته أنه قد أصبح بالضرورة قادرا على فهمها .. فلقد قامت على مر التاريخ محاولات عديدة لفهم الشخصية الانسانية ، ولكن لا تزال الانسانية تعتبر فى بداية الطريق الى تحقيق هذا الهدف الضخم ، لأن هناك عوامل كثيرة يمكن أن تعطل فهم الانسان لذاته . فالانسان الذى ظل طوال هذه الأجيال ينظر الى نفسه على أنه محور هذا الكون ، وأن كل شىء مخلوق من أجله ، لا يستطيع أن ينظر الى الأمور التى تتصل به وبشخصيته بعين مجردة أو أن يقف منها موقفا علميا موضوعيا خاليا من كل تحيز ومن كل رغبة شخصية . ولهذا تعطلت الدراسة العلمية للشخصية الانسانية فترة طويلة[1] .

وأخيرا قامت محاولات لدراسة الشخصية دراسة علمية خرجنا منها بنظريات متعددة .. منها ما يهتم بدراسة أنماط الشخصية أو سماتها ، ومنها ما يعنى بالجوانب البيولوجية للشخصية ، وهناك نظرية التحليل النفسى ، ونظرية التعلم ، ونظرية الذات ، ونظرية العوامل الثقافية وغيرها ، مما سنناقشه فى الفصل التالى ، ولا تزال المحاولات مستمرة .

* * *

● **مفهوم الشخصية السوية :**

يتميز المجتمع الحديث بأنه دائم التغير ، ومن هنا كان على الفرد

---

(١) سيد عبد الحميد مرسى : **الارشاد النفسى والتوجيه التربوى والمهنى** ، القاهرة : الخانجى ، ١٩٧٦ ، ص ٦

ـ الذى يتفاعل مع الظروف المتغيرة فى البيئة ـ أن يتعلم كيف يستجيب لهذه الظروف ويواجهها بطريقة تحقق له التكيف الشخصى والاجتماعى السليم • ومن ناحية أخرى فان السلوك الانسانى يرتبط ارتباطا وثيقا مع الظروف الداخلية والخارجيـة التى يتعرض لها الفرد • وعلى ذلك فاننا لا نستطيع أن نفهم السلوك البشرى ببساطة بمجرد دراسة الظروف الخارجية التى يتعرض لها الفرد ، اذ يرتبط سلوكه أيضا بالخواص والمميزات والاستعدادات الداخلية للفرد • ويمكن القول بأن الاستعدادات الطبيعية التى يحملها كل فرد لها أثر كبير فى تحديد نمط سلوكه •

وبناء على ما تقدم يمكن القول انه دون الفهم الواعى لطبيعة شخصية الفرد فاننا لا نستطيع أن نفهم سلوكه فهما كاملا • ويستلزم هذا الفهم كذلك دراسة الظروف المختلفة التى تسهم فى احداث الاستجابات السلوكية فى المواقف المختلفة • فأنماط سلوك الفرد تتحدد من خلال التفاعل فيما بين مكونات الشخصية وبين الظروف الاجتماعية والطبيعية التى تتفاعل فى اطارها •

وفى ضوء ما تقدم يمكن أن نعرف الشخصية على النحو الآتى :

أولا : « الشخصية هى ذلك التنظيم الديناميكى فى الفرد لتلك الاستعدادات النفسية التى تحدد طريقته الخاصة فى التكيف مع البيئة »[1] •

والمقصود بالتنظيم الديناميكى أن تكوين الشخصية لا يكون ثابتا بل يتغير بمرور الزمن تحت المؤثرات المختلفة والظروف المحيطة • ويقصد بالاستعدادات النفسية والجسمية تلك العادات والاتجاهات

(1) Allport , G. ; **Personality : A Psychological Interpretation.** New York : Holt, 1937, p. 48.

والعواطف التى اكتسبها الفرد نتيجة لمروره بخبرات معينة • نخلص من ذلك أن الشخصية هى نتاج كل من العقل والجسم فى وحدة كلية متكاملة •

ويتميز هذا التعريف بما يأتى :

١ ــ أوضح أن الشخصية تنظيم أو تكوين ديناميكى عام • ويقصد بذلك أنه قابل للتغير ، وذلك نتيجة للتفاعل الدائم بين مختلف العوامل الشخصية والاجتماعية والثقافية •

٢ ــ يشير الى التكوينات الجزئية الجسمية النفسية • ويقصد بهذا أن الشخصية تكوين عام يندرج تحته تكوينات جزئية ، فى جميع ما يتميز به الفرد من عادات واتجاهات وانفعالات واستعدادات ومشاعر وقيم • ويشير التعريف كذلك الى أن التكوينات المختلفة هى مزيج من النواحى الجسمية والنفسية •

٣ ــ يشير التعريف الى أن الشخصية هى استعداد يحدد استجابة الفرد لمختلف المثيرات التى تحيط به ، والى أن أساليب التكيف خاصة بالفرد أى أنها تميزه عن غيره من الأفراد •

٤ ــ وأخيرا يشير التعريف الى أن تكيف الفرد مع بيئته ليس تكيفا سلبيا للعوامل البيئية المحيطة بالفرد ، ولكنه تكيف ايجابى فعال للبيئة الحقيقية ، كما أنه تكيف للبيئة كما يتخيلها الفرد أو يتصورها أو يتمناها •

ثانيا : يرى « كاتل » أن « الشخصية هى تلك التى تمكننا من التنبؤ بما سوف يفعله الشخص فى موقف معين ، وعلى ذلك فان هدف البحوث النفسية فى الشخصية هو تحديد قوانين تتعلق بما سوف يفعله الأفراد المختلفون فى جميع أنواع المواقف الاجتماعية والبيئية العامة ••

ان الشخصية تتعلق بكل سلوك الفرد سواء أكان سلوكا صريحا أو متخفيا »[1] .

من الواضح أن هذا التأكيد على أن دراسة الشخصية تتضمن « كل » السلوك لا يتعارض مع ضرورة التجريد والتجزئة اللذين يحدثان فى الدراسة التجريبية العادية . انه مجرد تذكرة بأنه لا يمكن فهم معنى أجزاء السلوك الصغير فهما كاملا الا اذا نظرنا اليها داخل الاطار الأكبر للكائن الكلى الفعال .

ثالثا : « الشخصية هى ذلك التنظيم المتكامل من الصفات والمميزات والتركيبات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التى تبدو فى العلاقات الاجتماعية للفرد ، والتى تميزه عن غيره من الأفراد تمييزا واضحا »[2] .

ويعنى هذا التعريف أن مفهوم الشخصية يشمل دوافع الفرد وانفعالاته وعواطفه وميوله واهتماماته وسماته واتجاهاته وآراءه ومعتقداته ، كما يشمل عاداته وقدراته العقلية العامة والخاصة وما يتخذه من أهداف ومثل وقيم اجتماعية ، وتنظيم كل هذه الجوانب فى كل متكامل يتسم بالاتساق والانتظام .

رابعا : « الشخصية هى ذلك التنظيم التكاملى الديناميكى الذى يتميز به الفرد ، وتتكون من التفاعل المستمر المتبادل بين المكونات الجسمية والنفسية بشقيها ـ العقلية والانفعالية ـ ومؤثرات البيئة المادية والاجتماعية »[3] .

---

(١) Cattell, R.; **Personality : Systematic, Theoretical, and Factual Study.** New York : Mc. Graw - Hill, 1950, p. 302

(٢) مصطفى فهمى : **علم النفس الاكلينيكى** . القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٦٧ ص ٥٦

(٣) عطية محمود هنا وآخرون : **الشخصية والصحة النفسية** ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ٩

نخلص من هذا التعريف أن الشخصية تنقسم الى :

١ ــ مكونات جسمية .
٢ ــ مكونات معرفية « عقلية » .
٣ ــ مكونات مزاجية « انفعالية » .
٤ ــ مكونات بيئية « العواطف والاتجاهات والقيم » .

خامسا : يمكن أن نعرف الشخصية تعريفا اجرائيا فنقول :

« انها ذلك المفهوم أو ذلك الاصطلاح الذى يصف الفرد من حيث هو كل موحد من الأساليب السلوكية والادراكية المعقدة التنظيم ، التى تميزه عن غيره من الناس وبخاصة فى المواقف الاجتماعية »[1] .

ويتميز هذا التعريف بتأكيده للنقاط الآتية :

١ ــ أنه يعتبر أن الشخصية مفهوم وليست شيئا ملموسا .

٢ ــ أنه يعتبر أن لفظ الشخصية يشير الى أساليب سلوكية وادراكية يرتبط بعضها بالبعض الآخر فى تنظيم معين يجعل منها كلا موحدا ، وأن هذا الكل شديد التعقيد .

٣ ــ أنه يعتبر أن ما يهمنا من الأساليب السلوكية عندما نتحدث عن الشخصية هو ما يتصل منها بالمواقف الاجتماعية على وجه الخصوص .

وهناك تعريفات أخرى تهتم بالوظيفة التنظيمية للشخصية . ومثل هذا التعاريف ترى أن الشخصية هى التنظيم أو النمط الذى يخلع على هذه الضروب الجزئية والمتباينة من سلوك الفرد ، أو أن التنظيم تتاج للشخصية التى هى قوة ايجابية فعالة فى الفرد . ان الشخصية هى ما يعطى تآلفا ونظاما لجميع الأشكال المختلفة من السلوك الذى يمارسه

---

(١) محمد عماد الدين اسماعيل : **الشخصية والعلاج النفسى** ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ١٣

الفرد ، فالشخصية تتكون من الجهود التى يبذلها الفرد فى التوافق ، وهى جهود متباينة وان كانت مميزة • وثمة تعريفات أخرى ترى الشخصية مرادفا للجوانب الفريدة أو الفردية من السلوك • وبهذا المعنى تصبح اصطلاحا يشير الى تلك الأشياء التى يتصف بها الفرد والتى تميزه وتفرق بينه وبين بقية الأشخاص • وأخيرا يعتبر الباحثون فى الشخصية أنها تمثل جوهر الانسان •• وترى هذه التعريفات أن الشخصية تشير الى ذلك الجانب من الفرد الذى يمثله أكثر من الجوانب الأخرى ، ليس لأنه الجانب الذى يفرق بينه وبين الأشخاص الآخرين فحسب ، ولكن لأنه هو ما يكون عليه الشخص فى حقيقته • ويتمثل هذا النوع من التعريف فيما يراه « ألبورت » من أن « الشخصية هى ما يكون عليه الانسان فى حقيقته »[1] • ومقتضى هذا أن الشخصية تتكون فى نهاية الأمر من أكثر الأشياء تمثيلا وأعمقها تمييزا للشخص[2] •

بعد هذا العرض لوجهات نظر مختلفة فى تعريف الشخصية ومناقشتها ، نرى الاكتفاء بهذا القدر ، حيث سنناقش وجهات النظر المختلفة للشخصية باسهاب فى الفصل التالى

* * *

● **الشخصية السوية :**

يتضح من المناقشة السابقة أن الشخصية مصطلح مجرد يرمز الى أنماط السلوك المميزة التى يتصرف بها الشخص بالنسبة لمواقف الحياة المختلفة • ويمكن القول إن « الشخصية السوية » ترمز الى طرق التصرف التى يتصرف بها الأفراد ليصبحوا سعداء وأصحاء[3] •

---

(١) Allport, G.. **Personality : A Psychological Interpretation.** New York : Holt, 1937, p. 48.

(٢) فرج أحمد فرج ، قدرى حفنى ، لطفى فطيم (ترجمة) : **نظريات الشخصية** • القاهرة : الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ، ص ٢٢

(٣) حسن الفقى ، وسيد خير الله (ترجمة) : **الشخصية بين الصحة والمرض** • القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٣ ، ص ٢ — ٣

واذا ما تساءلنا عن شكل الشخصية السوية ، أو كيف يتصرف الشخص السوى فى مواقف الحياة المختلفة ، نجد أنه من المتعذر وصف الشخصية الصحية أو السوية بكليتها لأننا لا نستطيع أن نصف أية شخصية ككل . وأفضل ما يمكن عمله هو أن نصف عينة من سلوك الشخص وسماته ، فاننا لا نعرف أى شخص بطريقة شاملة كلية ، لأننا لا نلاحظ كل شىء يفعله الشخص . واذا ما حاولنا وصف شخصية سوية فرضية ، ينبغى أن نقنع بأوصاف عامة لخواص الشخصية ذات القيمة .

وسنقدم فيما يلى أوصافا مختصرة للشخصية السوية .

أولا : قدم « مازلو »[1] نظرية فى الدوافع الانسانية تفترض أن الحاجات تنتظم فى تدرج من الأهمية أو القوة . فعندما تشبع الحاجات ذات القوة الكبرى أو الأولوية فان الحاجات التالية فى التدرج الهرمى تبرز وتلح فى طلب الاشباع هى الأخرى ، وعندما تشبع نكون قد صعدنا خطوة أخرى على سلم الدوافع . ونظام التدرج الهرمى للحاجات من أكثرها قوة الى أقلها قوة هو كما يلى : الحاجات البيولوجية كالجوع والعطش ، وحاجات الأمن ، ثم الحاجة الى الانتماء والحب ، وحاجات الاعتراف والتقدير ، وحاجات تقدير الذات ، ثم الحاجات المعرفية ، وأخيرا الحاجات الجمالية كالرغبة فى الجمال ، ويلاحظ أن هذا التدريج الهرمى لا مكان فيه للحاجات المعادية للمجتمع والمحدثة للأذى . ان الانسان يمكن أن يصبح معاديا للمجتمع فقط عندما ينكر عليه هذا المجتمع اشباع حاجاته .

ويرى « مازلو » أنه كى ينمو علم النفس ويصبح أكثر اكتمالا وشمولا يصبح حتما على علماء النفس دراسة الذين حققوا امكاناتهم الى أقصى مداها ، بدلا من الاقتصار على دراسة حالات غير سوية .

---

(١) Maslow, A.; **Motivation and Personality** New York : Harper, 1954. p. 12.

وهذا هو ما فعله مازلو .. فقد قام ببحث متعمق وشـامل لجماعة من الأشـخاص الذين حققوا ذواتهم . وهؤلاء أشخاص يندر وجودهم ، كما وجـد مازلو عندما شرع فى الوصـول الى مجموعته . وعثر على مفحوصين مناسـبين ، بعضهم كانوا شخصيات تاريخيـة مثل لنكولن وجيفرسـون وبيتهوفن ، فى حين كان البعض الآخر لا يزال على قيـد الحياة عند القيام بدراسته مثل روزفلت وآينشتين والبعض من أصدقائه ومعارفه . وقد درسهم مازلو دراسة اكلينيكية للكشف عن الخصـائص المميزة لهم عن بقية الناس العاديين ، فظهر له أن السـمات المميزة لهم هى :

١ ــ أن لهم اتجاها واقعيا .

٢ ــ أنهم يتقبلون أنفسهم والآخرين والعالم الطبيعى كما هم .

٣ ــ أنهم على قدر كبير من التلقائية .

٤ ــ أنهم يتمركزون حـول المشكلات بدلا من أن يتمركزوا حول أنفسهم .

٥ ــ أنهم على قدر من الانفصال والحاجة الى الخصوصية .

٦ ــ أنهم يتسمون بالاستقلال الذاتى .

٧ ــ أن تقديرهم للأفراد والأشياء متجدد ، دون نمطية جامدة .

٨ ــ لمعظمهم خبرات روحيـة أو غيبية عميقـة ، دون أن تكون بالضرورة ذات طابع دينى

٩ ــ أنهم يتوحدون بالبشرية جمعاء .

١٠ ــ أن علاقاتهم الحميمة بأشـخاص قليلين يكنون لهم حبـا خاصا يغلب أن تكون عميقة وذات طابع انفعالى عميق دون أن تكون سطحية .

١١ ــ أن اتجاهاتهم وقيمهم ذات طابع ديمقراطى .

١٢ ــ أنهم لا يخلطون بين الغاية والوسيلة .

١٣ ــ أن روح المرح لديهم ذات طابع فلسفى وليست ذات طابع عـدائى .

١٤ ــ أنهم يولعون أشد الولع بالخلق والابتكار .
١٥ ــ أنهم يقاومون الامتثال للثقافة والخضوع لها

ويبدو أن اسهام مازلو الفريد لوجهة نظر الكائن العضوى هو انشغاله بالأصحاء أو الأسوياء من الناس بدلا من المرضى أو غير الأسوياء.

ثانيا : أن الفرد يعبر عن شخصية صحية سوية عندما يكون قادرا على اشباع حاجاته عن طريق السلوك الذى يتفق مع كل من معايير المجتمع ومطالب ضميره . وهذا يعنى أنه لا يوجد تعريف معين للشخصية السوية ينطبق على كل المجتمعات وفى كل الأوقات ، ولكنه يوضح ما يجب أن يقوم به الشخص حتى يمكن الحكم عليه بأنه شخصية سوية ، وهو يعنى :

١ ــ أنه يشعر بالاشباع ، والاشباع يؤدى الى حالة انفعالية تعرف بالسعادة أو الاكتفاء ، وتتفق معظم المراجع العلمية السلوكية على أنه بدون الاشباع لن تكون هناك شخصية صحية أو سوية . والشخص الذى يبدى عدم رضاء مستمرا لا يمكن أن يعتبر شخصية سوية .

٢ ــ أن الفرد لا بد أن يجد اشباعا بطريقة معينة . فهو لا يستطيع أن يتصرف عشوائيا ليؤمن اشباعاته . فلا بد أن يتصرف بطرق ووسائل تدخل فى اطار القانون والتقاليد والأخلاق السائدة فى مجتمعه . كما أن الشخصية السوية تعنى أن الضمير ــ الأخلاقيات والقيم التى اكتسبها الشخص من خلال عملية التطبيع الاجتماعى ــ يجب أن ينظر اليه بعين الاعتبار أثناء البحث عن الاشباع[1] .

ثالثا : يرى بعض علماء النفس ــ نخص منهم بالذكر « مازلو » و « فروم » ــ أن بعض الحاجات عالمية أو مستقلة عن الثقافة ، وأنه

---

(١) حسن الفقى ، وسيد خير الله (ترجمة) : **الشخصية بين الصحة والمرض** ، ص ٢٢ ــ ٢٣

يجب على بنى الانسان أن تكون لديهم اشباعات معينة ما داموا انسانيين ، وألا يعملوا على مستوى الفعل المنعكس أو الغريزة ، والا فانهم يتجردون من الانسانية أو يصبحون غير أسوياء .

ويؤكد « فروم » أن الانسان يحتاج الى الاحساس بالانتماء لأخيه الانسان ، وبالاحساس بالقدرة على الابداع والابتكار ، وأن يكون سيد الطبيعة وليس ضحية مستسلمة منصاعة ، وبالاحساس بالانتماء للجماعة والشعور بالأخوة لكل بنى الانسان ، وبالاحساس بالذاتية — أى الشعور بالاستقلال الذاتى — وأخيرا يحتاج الانسان الى فلسفة فى الحياة أو عقيدة دينية تعنى معنى واتجاها لحياته[1] .

ويدل رأى « فروم » على أنه اذا لم يحقق الانسان نوعا من الاشباع للحاجات التى ذكرها — بصرف النظر عن الثقافة أو المجتمع الذى يعيش فيه — فانه سيكون أقل انسانية ، ويصبح غير سوى .

ولقد كان « مازلو » واضحا بدرجة كبيرة ، حيث أكد أن الانسان يجب أن يشعر بتتابع الاشباع لحاجاته الأساسية قبل أن يستطيع تطوير شخصيته . وما لم يجد الشخص اشباعا للأمن والحب والتقدير — بصرف النظر عن الزمان والمكان — فانه سيفشل فى تحقيق التطور الكامل[2] .

***

● **الشخصية السوية فى القرآن :**

لقد جاء فى القرآن الكريم وصف للشخصية الانسانية وسماتها العامة التى يتميز بها الانسان عن غيره من المخلوقات . وجاء فيه

---

(١) Fromm, E.; **The Sane Society.** New York : Rinehart, 1955, p.p. 30 - 66.

(٢) Maslow, A. ; **Motivation and Personality.** New York: Harper, 1954, 12.

أيضا وصف لبعض الأنماط أو النماذج العامة للشخصية الانسانية التى تتميز ببعض الخصائص الرئيسية ، وهى أنماط عامة وشائعة نكاد نراها اليوم فى مجتمعنا ، وفى جميع المجتمعات الانسانية عامة . ونجد فى القرآن أيضا وصفا للشخصية السوية ، والشخصية غير السوية ، ووصفا للعوامل المكونة لكل من السواء وعدم السواء فى الشخصية .

ويشير القرآن أيضا الى الصراع بين الجانبين المادى والروحى فى الانسان .. ولعل مشيئة الله تعالى قد اقتضت أن يكون أسلوب الانسان فى حل هذا الصراع هو الاختبار الحقيقى الذى وضعه الخالق سبحانه للانسان فى هذه الحياة . فمن استطاع أن يوفق بين الجانبين المادى والروحى فى شخصيته ، وأن يحقق بينهما أكبر قدر مستطاع من التناسق والتوازن ، فقد نجح فى هذا الاختبار ، واستحق أن يثاب على ذلك بالسعادة فى الدنيا والآخرة[1] . قال تعالى :

● **﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ .**

(المنافقون : ٩)

● **﴿ قد افلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وابقى ﴾ .**

(الأعلى : ١٤ ــ ١٧)

ولقد شاءت رحمة الله تعالى وحكمته أن يمد الانسان بكافة الامكانات اللازمة لحل الصراع بين الجانب المادى والجانب الروحى ، بأن وهبه العقل ليميز به بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل ، كما أمده سبحانه بحرية الارادة والاختيار حتى يستطيع أن يبت فى أمر هذا الصراع . قال تعالى :

---

(١) محمد عثمان نجاتى : **القرآن وعلم النفس** . القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣ ، ص ١٩٩ ــ ٢٠٦

● ﴿ وهديناه النجدين ﴾ . (البلد : ١٠)

● ﴿ انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ﴾ .
(الانسان : ٣)

● ﴿ ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ .
(الشمس : ٧ ـ ١٠)

● ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها﴾
(الأنعام : ١٠٤)

● ﴿ وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ .
(الكهف : ٢٩)

● ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد﴾
(فصلت : ٤٦)

● ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ . (المدثر : ٣٨)

واذا أخلص الانسان فى تقربه لله تعالى بالعبادات والأعمال الصالحة ، وتحكم فى أهوائه وشهواته ، بما يحقق التوازن بين مطالبه البدنية والروحية ، فانه يصل الى أعلى مرتبة من النضوج والكمال الانسانى ، وهى المرتبة التى تكون فيها نفس الانسان فى حالة اطمئنان وسكينة ، وينطبق عليها وصف « النفس المطمئنة » .

● ﴿ يا ايتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى ﴾ .
(الفجر : ٢٧ ـ ٣٠)

* * *

● **انماط الشخصية فى القرآن :**

حاول المفكرون فى عصور التاريخ المختلفة ، كما حاول علماء النفس فى العصر الحديث ، دراسة أوجه التشابه وأوجه الخلاف بين

شخصيات الناس ، وقاموا بعدة محاولات لتصنيف الناس الى عدة أنماط من الشخصية ، يتميز كل نمط منها بمجموعة معينة من الصفات المميزة • ان تصنيف الناس الى أنماط ، انما هى محاولة تساعد على وصف الناس وتفسير سلوكهم •

واننا نجد فى القرآن الكريم تصنيفا للناس على أساس العقيدة الى ثلاثة أنماط هى : المؤمنون ، والكافرون ، والمنافقون • ولكل نمط من هذه الأنماط الثلاثة سماته الرئيسية العامة التى تميزه عن النمطين الآخرين • وتصنيف القرآن للناس على أساس العقيدة يتمشى مع أهداف القرآن من حيث هو كتاب عقيدة وهداية ، كما أن هذا التصنيف يشير الى أهمية العقيدة فى تكوين شخصية الانسان ، وفى تحديد سماته المميزة له ، وفى توجيه سلوكه على نحو معين خاص يتميز به • كما يشير هذا التصنيف أيضا الى أن العامل الأساسى فى تقييم الشخصية فى نظر القرآن هو « العقيدة »[1] •

والانسان كائن « معتقد » بالطبع ، ومعنى ذلك أنه خلق على أن يكون ذا عقيدة فى صحة شىء وفى بطلان آخر • فمنذ وجد الانسان على ظهر البسيطة تسامى بنفسه ليستشرف على قوة أكمل من قوته ، يدين لها بالخوف والحب والطاعة ، وهو ما يعبر عنه بـ « العاطفة » • ولعلها أسبق العواطف التى غرست فى النفس الانسانية •

وعندما عرض القرآن النماذج المختلفة للانسان من ناحية العقيدة فى مطلع سورة البقرة ، ذكر المؤمنين فى أربع آيات ، ومواجهيهم الكفار فى آيتين ، ثم فضح الفئة التى فقدت انسانيتها — لأنه لا قضية لها — فى ثلاث عشرة آية ، كشفت تناقض هذا النموذج من الناس مع نفسه ومجتمعه ، بحيث استحق اسم « المنافقين » • وقد أفرد

---

(١) محمد عثمان نجاتى : **القرآن وعلم النفس** ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ص ٢١٢ ، ٢١٣

القرآن الكريم كل نموذج فى العقيدة بسورة سماها باسمها ، فهناك سورة « المؤمنون » ، وسورة « المنافقون » ، وسورة « الكافرون » .

لقد وصف القرآن الكريم كل نمط من هذه الأنماط الثلاثة بسمات خاصة يعرف بها ، ويتميز بها عن النمطين الآخرين من الناس . ومنحاول فيما يلى أن نذكر أهم السمات التى يتميز بها كل نمط من هذه الأنماط الثلاثة من الناس كما ورد فى القرآن الكريم ، وسماتها الفرعية :

أولا ـ المؤمنون :

اذا جمعنا سمات المؤمنين التى وردت فى القرآن الكريم وحاولنا تصنيفها لأمكن أن نصنفها الى تسعة مجالات رئيسية من مجالات السلوك هى[1] :

١ ـ **سمات تتعلق بالعقيدة** : الايمان بالله ، وبرسله ، وكتبه ، وملائكته ، واليوم الآخر ، والبعث ، والحساب ، والجنة والنار ، والغيب ، والقدر .

٢ ـ **سمات تتعلق بالعبادات** : عبادة الله ، وأداء الفرائض من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس ، وتقوى الله وذكره دائما ، واستغفاره ، والتوكل عليه ، وقراءة القرآن .

٣ ـ **سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية** : معاملة الناس بالحسنى ، الكرم والجود والاحسان ، التعاون ، الاتحاد والتماسك ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، العفو ، الايثار ، الاعراض عن اللغو ، حب الخير ، اغاثة الملهوف .

٤ ـ **سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية** : اطاعة الوالدين والبر بهما ، الاحسان بالوالدين وبذى القربى ، حسن المعاشرة بين الأزواج ، رعاية الأسرة والانفاق عليها ، التنشئة السليمة للأبناء .

---

(١) محمد عثمان نجاتى : **القرآن وعلم النفس** ، ص ٢١٤ ، ٢١٥

٥ ـ **سمات خلقية** : الصبر ، الحلم ، الصدق ، العدل ، الأمانة ، الوفاء بالعهد ، العفة ، التواضع ، القوة فى الحق ، عزة النفس ، قوة الارادة ، التحكم فى أهواء النفس .

٦ ـ **سمات انفعالية وعاطفية** : حب الله ، الخوف من عذاب الله ، الأمل فى رحمة الله ، حب الناس ، كظم الغيظ والحكم فى انفعال الغضب ، عدم الاعتداء على الغير ، عدم حسد الآخرين ، الرحمة ، لوم النفس والشعور بالندم عند ارتكاب ذنب ما ، عدم الغرور .

٧ ـ **سمات عقلية ومعرفية** : التفكير فى الكون وخلق الله ، طلب المعرفة والعلم ، عدم اتباع الظن وتحرى الحقيقة ، حرية الفكر والعقيدة .

٨ ـ **سمات تتعلق بالحياة العملية** : الاخلاص فى العمل واتقانه ، السعى بنشاط وجد فى سبيل كسب الرزق .

٩ **سمات بدنية** : القوة ، الصحة ، النظافة ، الطهارة .

ومن الآيات الكريمة فى هذا المجال :

● **﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . اولئك على هدى من ربهم ، واولئك هم المفلحون ﴾** .
(البقرة : ٢ ـ ٥)

● **﴿ قد افلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾** .
(المؤمنون : ١ ـ ٩)

● ﴿ انمـا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسـهم فى سـبيل الله ، أولئك هم الصـادقون ﴾ .

(الحجرات : ١٥)

● ﴿ انمـا المؤمنون الذين اذا ذكـر الله وجـلت قلوبهـم واذا تليت عليهم آيـاته زادتـهم ايمـانا وعلى ربـهم يتـوكلون ﴾ .

(الأنفال : ٢)

● ﴿ آمـن الرسـول بمـا انزل اليـه من ربـه والمؤمنون ، كل آمـن بالله وملائكتـه وكتبـه ورسـله لا نفرق بين احـد من رسـله ، وقالـوا سـمعنا واطعنا ، غفرانك ربنـا واليك المصـير ﴾ .

(البقرة : ٢٨٥)

● ﴿ انمـا المؤمنون اخـوة فاصـلحوا بين اخويكم واتقـوا الله لعـلكم ترحمـون ﴾ .

(الحجرات : ١٠)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـ « المؤمن من آمنه المؤمنون على أنفسـهم وأموالهم » .

(رواه أحمـد)

ـ عن أبى موسى رضى الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصـابعه .

(متفق عليه)

ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » .

(متفق عليه)

ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خيـاركم لنسائهم » .

(رواه الترمذى)

ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .
(متفق عليه)

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فقال رجل : أنصره اذا كان مظلوما أرأيت (أى أخبرنى) ان كان ظالما فكيف أنصره ؟ قال : تحجزه ـ أو تمنعه ـ من الظلم فان ذلك نصره » . (رواه البخارى)

ـ عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . (متفق عليه)

ـ « من أخلاق المؤمن : حسن الحديث اذا حدث ، وحسن الاستماع اذا حدث[1] ، وحسن البشر اذا لقى ، ووفاء بالوعد اذا وعد » . (رواه الديلمى)

ـ « المؤمن مرآة المؤمن اذا رأى فيه عيبا أصلحه »
(رواه البخارى)

ـ « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .
(رواه الطبرانى)

ـ «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» (أى غوائله وشروره)
(رواه مسلم)

ـ « المؤمن كيس فطن حذر وقاف (أى متأنى) ثبت (أى شجاع) لا يعجل ، عالم ورع »[2] . (رواه الديلمى)

* * *

(١) حدث : الأولى بفتح الحاء وتشديد الدال مع فتحها ، والثانية بضم الحاء وتشديد الدال مع كسرها .

(٢) الأحاديث مأخوذة عن : عز الدين بليق ، **منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين** ، بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ١٩٧٨ ، ص ٨٨ ـ ٩٢

ثانيـا ـ الكـافرون :

لقـد أشار القرآن الكريم فى كثير من الآيات الى الكافـرين ، ووصفهم بسمات رئيسية يتميزون بها ، تتلخص فى الآتى :

١ ـ **سمات تتعلق بالعقيدة والعبادات** : عدم الايمان بالتوحيـد أو الرسل أو اليوم الآخر ، وعدم الايمان بالبعث والحسـاب • يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم •

٢ ـ **سـمات تتعلق بالعـلاقات الاجتماعيـة والأسـرية** : الظلم ، العدوان على المؤمنين فى تصرفاتهم ، النهو عن المعروف ، قطع صلة الرحم •

٣ ـ **سمات خلقية** : نقض العهد ، الفجور واتبـاع الشـهوات ، الغرور ، التكبر ، الظلم ، الكذب ، عدم الوفاء بالعهد •

٤ ـ **سمات انفعالية وعاطفية** : كراهيتهم للمؤمنين وحقدهم عليهم وحسدهم لهم على ما أنعم الله به عليهم •

٥ ـ **سمات عقلية ومعرفية** : جمـود التفكير والعجز عن الفهـم والتعقل ، الختم والطبع على قلوبهم ، التقليد الأعمى لمعتقدات الآباء وتقاليدهم ، خداع النفس •

ان الصورة التى يرسمها القرآن الكريم لشـخصية الكافرين هى أنهم لا يؤمنون بعقيدة التوحيد ، ولا بالرسل والكتب المنزلة ، ولا باليوم الآخر والبعث والحسـاب ، ولا بالجنة والنار • وهم يقلدون ما كان عليه آباؤهم من عبادة الأوثان • وهم أشخاص قد تجمد تفكيرهم وعجزوا عن ادراك حقيقة التوحيد التى يدعو اليها الاسلام[1] •

ومن الآيات الكريمة التى ذكرت الكافرين :

---

(١) محمد عثمان نجاتى : **القرآن وعلم النفس** ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩

● ﴿ قل يـا ايهـا الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولى دين ﴾ . (سورة الكافرون)

● ﴿ وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ .
(الكهف : ٢٩)

● ﴿ انـا هـديناه السـبيل اما شـاكرا واما كفـورا ﴾ .
(الانسـان : ٣)

● ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾
(محمد : ١٢)

● ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عـذاب اليم ﴾ .
(المـائدة : ٧٣)

● ﴿ ... ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ﴾ .
(المـائدة : ٤٤)

● ﴿ ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى ابصارهم غشاوة ، ولهم عـذاب عظيم ﴾ . (البقرة : ٦ ـ ٧)

وفى الحديث النبوى الكريم :

ـ أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال فى حجة الوداع : « لا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

ـ وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال لأخيه : يا كافر ، فقـد باء به أحدهما ، لأنه اما أن يصدق عليه أو يكذب ، فإن صـدق فهو كافر ، وإن كذب عاد الكفر اليه بتكفيره أخاه المسلم » .

* * *

ثالثا ـ المنافقون :

المنافقون هم فئة من الناس ضعاف الشخصية ومترددون لم يستطيعوا أن يتخذوا موقفا صريحا من الايمان • وقد ذكر القرآن الكريم سماتهم المميزة لهم والتى تتلخص فى الآتى :

١ ـ **سمات تتعلق بالعقيدة والعبادات** : انهم لم يتخذوا موقفا محددا من عقيدة التوحيد ، فهم يظهرون الايمان اذا وجدوا بين المسلمين ، ويظهرون الشرك اذا وجدوا بين المشركين • يؤدون العبادات رياء وعن غير اقتناع ، واذا قاموا للصلاة قاموا كسالى •

٢ ـ **سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية** : يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، يعملون على اثارة الفتن والقلاقل بين صفوف المسلمين ، يميلون الى خداع الناس ويحسنون صناعة الكلام للتأثير على السامعين ، يكثرون من الحلف لدفع الناس الى تصديقهم ، يهتمون بمظهرهم لجذب انتباه الناس والتأثير عليهم •

٣ ـ **سمات خلقية** : ضعف الثقة بالنفس ، نقض العهد ، الرياء ، الجبن ، الكذب ، الخداع ، البخل ، النفعية والانتهازية ، اتباع الأهواء•

٤ ـ **سمات انفعالية وعاطفية** : الخوف من كل من المؤمنين والمشركين ، الجبن والخوف من الموت ، يكرهون المسلمين ويحقدون عليهم •

٥ ـ **سمات عقلية ومعرفية** : التردد والريبة وعدم القدرة على الحكم أو اتخاذ القرار ، عدم القدرة على التفكير السليم ولذلك وصفهم القرآن بالطبع على قلوبهم ، يميلون الى تبرير أفعالهم للدفاع عن تصرفاتهم[1] •

ومن آيات القرآن الكريم التى ذكرت المنافقين :

---

(١) محمد عثمان نجاتى : **القرآن وعلم النفس** ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦

● ﴿ **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، ان المنافقين هم الفاسقون** ﴾ .
(التوبة : ٦٧)

● ﴿ **اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون** ﴾ .
(المنافقون : ١)

● ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون** ﴾ .
(البقرة : ٨ ـ ١٠)

● ﴿ **بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا** ﴾ .
(النساء : ١٣٨ ـ ١٣٩)

● ﴿ **ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾ .
(النساء : ١٤٥)

ومن الحديث النبوى الشريف فى هذا المقام :

ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان » . (متفق عليه)

ـ « المنافق همزة لمزة (عياب) حطمة (قليل الرحمة) لا يقف عند شبهة ولا عند محرم ، كحاطب الليل لا يبالى من أين اكتسب ولا فيما أنفق » . (رواه الشهاب والديلمى)

* * *

ملامح الشخصية السوية

يشمل النمو النفسى تلك المراحل التى يمر بها الفرد فى سنى حياته المختلفة ، وتنمو فيها انفعالاته ورغباته واستعداداته ، وتستكمل خلالها شخصيته ، ويتم هذا فى اطار صحته النفسية بوجه عام ، وتبدو مظاهر النمو النفسى فى النواحى الآتية :

١ ــ التكيف .
٢ ــ اشباع الحاجات الأساسية .
٣ ــ تحقيق الشخصية السوية .

وسنناقش كل عنصر من هذه العناصر باختصار ..

أولا ــ التكيف :

ليس هذا مجال مناقشة التكيف باسهاب ، حيث سنتناوله باسهاب فيما بعد . فالتكيف عملية ديناميكية مستمرة يستهدف بها الشخص تعديل سلوكه ليحدث علاقة أكثر توافقا مع بيئته . ويمكن القول بأن التكيف هو القدرة على ايجاد العلاقات المشبعة بين الفرد وبيئته ، سواء أكانت هذه البيئة طبيعية أو ثقافية أو اجتماعية . وهناك عوامل أساسية لها أكبر الأثر فى احداث التكيف لدى الأفراد ، ومن أهمها :

١ ــ توافر المهارات اللازمة لدى الفرد لاشباع حاجاته الأساسية .
٢ ــ أن يعرف الانسان نفسه ، ويتضمن هذا : أن يعرف الحدود والامكانات التى يستطيع بها أن يشبع حاجاته ، وأن يدرك قدراته واستعداداته ومهاراته .
٣ ــ أن يتقبل الانسان ذاته بواقعية .
٤ ــ المرونة والتوافق بالنسبة للمؤثرات المختلفة .
٥ ــ المسالمة وتجنب الصراع .

* * *

ثانيا ـ اشباع الحاجات الأساسية :

لكى ندرك أهمية الدور الذى يقوم به العمل فى حياة الفرد يجب أن ندرك أولا الحاجات الأساسية للفرد • فلقد اتضح خطأ الفكرة القديمة القائلة بأن الانسان يعمل لمجرد الحصول على القوت ، ويكفى للتدليل على خطأ هذه الفكرة أن نذكر أنه كان من الواجب ـ تصديقا لهذا الرأى ـ أن يقف العمل وينتهى بمجرد حصول الفرد على ما يسد رمقه ، ولكن الانسان لم يقم ببناء حضارته بهذه الوسيلة البسيطة التى تستهدف مجرد الحصول على القوت • ولقد أثبتت دراسات الروح المعنوية فى الصناعة أن العمل ينطوى على أشياء كثيرة بالنسبة للفرد بخلاف الحصول على أجر •

ومن وجهة النظر المهنية ، فقد نظمت الحاجات الأساسية بطريقه هرمية بالنسبة لقوة هذه الحاجات وفاعليتها • ويلاحظ أن كل حاجة من الحاجات الأساسية لا تعلن عن وجودها الا اذا أشبعت الحاجة التى تسبقها فى الترتيب الهرمى • ويوضح الشكل رقم (١) الترتيب الهرمى للحاجات الأساسية للانسان[1] •

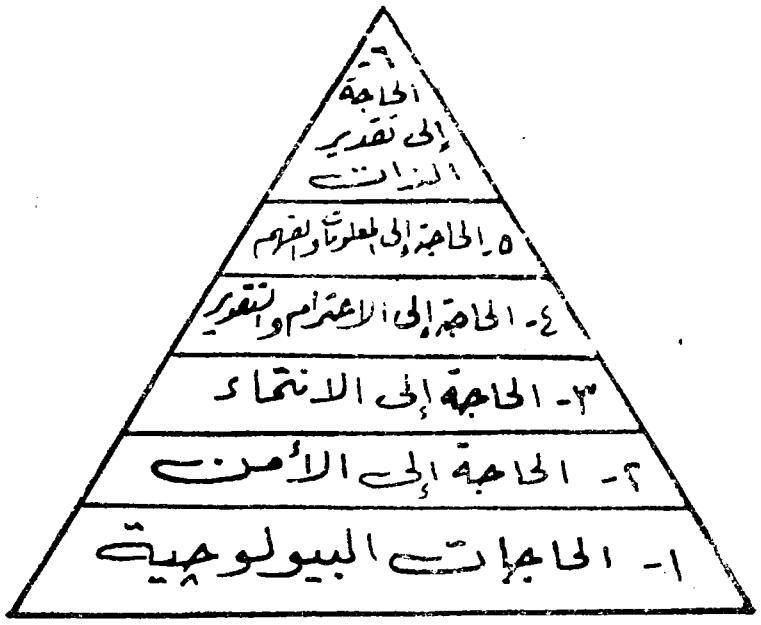

(١) Maslow, **A., Motivation and Personality.** New - York : Harper, 1954, 12.

ثالثا ـ تحقيق الشخصية السوية :

ان ما يميز الشخصية السوية عن الشخصية المضطربة أو المنحرفة ليس هو شكل السلوك أو الأفعال نفسها التى تصدر عن الفرد وانما وظيفة هذا السلوك أو ما يحققه من أغراض وأهداف . فالسلوك السوى هو الذى يحقق مواجهة واقعية للمشكلات أو الصراع وليس هروبا منها . وبمعنى آخر فان الشخصية السوية المتكاملة هى التى يتميز سلوكها بأنه واقعى بناء وليس سلوكا هرونيا هداما . واذا سلمنا بأن التكامل هو أدل الشىء لوظيفته وأن هذه الوظيفة تحددها طبيعة الشىء الذى يؤديه ، كان معنى ذلك أن السلوك يعتبر سويا أو متكاملا أو متكيفا بمقدار ما يعكسه هذا السلوك من خصائص الانسان ومميزاته الطبيعية التى يمتاز بها عن غيره من أعضاء المملكة الحيوانية .

ويشترك الانسان مع الحيوان فى كثير من الصفات ، الا أن تكامله لا يقوم على تنمية هذه الصفات التى يشترك فيها مع باقى أعضاء المملكة الحيوانية ، بل على تحقيقه للامكانيات التى ينفرد بها والتى تميزه عن سائر الحيوانات . وأولى تلك الامكانيات هى قدرة الانسان على الكلام .. فالانسان يستطيع أن يستخدم اللغة ليتذكر ، أو ليسترجع الحوادث والأحداث الماضية ، وليعالج الأشياء الملموسة وغير الملموسة ، وليسقط خبرته الماضية على المستقبل ، وبمعنى آخر يستطيع أن يعالج الأمور والأشياء على مستوى تخيلى . وهذه القدرة الرمزية هى التى تجعل الانسان يفكر فى الماضى وفى الحاضر والمستقبل غير الحسى ، وتساعده قدرته اللغوية على أن يتعلم من خبراته ومن خبرات الآخرين الذين سبقوه مع اختلاف الزمان والمكان ، كما تساعده على أن يتنبأ بما يمكن أن يترتب على سلوكه الخاص قبل أن يسلك وأن يكون له مثل عليا وقيم يسلك على أساسها .. هنالك اذن صفات ثلاث أساسية تعتمد على استخدام الرموز اللغوية وتميز الانسان عن غيره من الكائنات الحية ، وهذه الصفات هى : القدرة على الاستفادة من

الخبرة السابقة ، والتحكم فى السلوك بناء على التنبؤ بنتائجه قبل وقوعها ، وأخيرا القدرة على استحضار ما ليس له وجود فى الواقع الملموس •

وهناك مجموعة أخرى من الصفات المميزة للانسان ، وهى تلك التى تتعلق بفترة طفولته الطويلة ، تلك الفترة التى يظل فيها مدة من الزمان معتمدا على غيره من الكبار بحيث لا يستطيع أن يشبع حاجاته الأساسية الا عن طريق الكبار المحيطين به • ويتكون عند الطفل خلال هذه المرحلة الطويلة اتجاهان مهمان : الاتجاه الأول هو أن استمرار بقائه واشباعه لحاجاته الأساسية لا يمكن أن يتحقق الا عن طريق اعتماده على غيره ، والاتجاه الثانى هو أن الانتقال الى مرحلة الرشد والتمتع بحقوق الكبار واتخاذ مكانتهم يرتبط باستمرار بتحمل المسئولية والعمل على اشباع حاجات الآخرين • والنقطة الهامة هنا هى أنه مهما يكن نوع المجتمعات التى يعيش فيها الأفراد فانهم لا بد أن يعتمدوا بعضهم على البعض الآخر ، سواء أكان ذلك على مستوى علاقة الآباء بالأبناء أو على مستوى العلاقات الاجتماعية • وهذا النمط المميز للحياة الانسانية هو الذى يضفى عليها الصفة الاجتماعية ، تلك الصفة التى يتميز بها الانسان عن سائر أعضاء المملكة الحيوانية •

هذه هى الامكانيات التى يتميز بها الانسان عن غيره من الحيوانات وعلى أساس هذا التحديد للامكانيات الانسانية يمكن أن نقدم مفهوما واضحا للشخصية السوية ، وأن ندرك معنى السلوك السوى الايجابى المتكامل بطريقة مفيدة ومثمرة • فاننا نستطيع أن نستنبط من هذه الخصائص التى تتميز بها الطبيعة الانسانية صفات معينة ، لو تحققت فى أحد الأشخاص أو أمكن غرسها فيه بطريقة ما ، لكان هذا الشخص هو ما نعنيه عندما نتحدث عن الشخص السوى ، ولكان سلوكه هو ما نقصده عندما نتكلم عن السلوك المتكامل •

* * *

● **المميزات السلوكية للشخصية السوية :**

تتميز الشخصية السوية بالمميزات السلوكية الآتية[1] :

١ ــ القدرة على التحكم فى الذات :

من الواضح أنه كلما نمت عنـد الفرد القدرة على التفكير الرمزى الموضوعى ــ التى على أساسها يستطيع أن يتنبأ بنتائج الأشياء قبـل حدوثها ــ ازدادت بالتالى قدرته على التحكم فى سـلوكه عن طريق توقع النتائج التى يمكن أن تترتب عليه فى المدى البعيد .

٢ ــ تحمل المسئولية وتقديرها :

يستمد الشخص السوى قدرته على الضبط والتحكم فى سلوكه من تقديره الشخصى للأمور تقديراً مبنيا على موازنة النتائج وتمحيصها. وكلما زادت القدرة على الضبط الذاتى كلما قلت الحاجة الى الضـبط الصادر من سلطة أخرى خارجية . والشخص السوى هو الذى يعتبر نفسه مسئولا عن أعماله ويتحمل هذه المسئولية عن طيب خاطر .

٣ ــ التعـــاون :

ان اعتماد الناس بعضهم على البعض الآخر وخاصـة فى المجتمع المعاصر هو جزء أساسى من حياتهم الاجتماعية . وعلى هذا الأسـاس يصبح الشخص السوى هو الذى يستطيع أن يحقق هـذه الطبيعـة الاجتماعية ، وهو الذى يعتمد عليه الآخرون ، كما أنه يقر فى الوقت نفسـه بحاجته الى الآخرين .

٤ ــ القدرة على الثقة المتبادلة :

ان اعتراف الشخص بحاجته الى الآخرين يتضمن أيضا القـدرة على تكوين علاقات شخصية وثيقة بهم ، أى علاقات مبنية على الثقـة

---

(١) محمد عماد الدين اسماعيل : **الشخصية والعلاج النفسى** ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ١٣٢ ــ ١٤٩

المتبادلة . وهذه الصفة الهامة للشخصية السوية هى التى يمكن أن نعتبر عنها بالقدرة على المحبة والود . فالشخص السوى هو الذى يستطيع أن يقيم علاقات مع الآخرين أساسها المحبة والود والتفاهم والاحترام والثقة المتبادلة .

٥ ـ الانسانية :

الشخص السوى هو الذى يستطيع أن يبذل وأن يمنح كما يستطيع أن يأخذ ، سواء أكان ذلك مع أسرته أو أصدقائه أو زملائه أو مرؤوسيه ، وسواء أكان ذلك فى جماعات يعرفها وينتمى اليها أو مع جماعات أخرى ، مع جماعات يتفق معها فى الرأى والعقيدة ، أو مع جماعات يختلف معها فى الاتجاهات والأفكار . فالانسان مهما كانت حاله فانه مدين للانسانية بوجوده وقدرته على الكلام والحركة والتمتع بنتائج العقول والأفكار التى سبقته وأثرت على نوع الثقافة التى يعيش فيها . ان الانسان مدين بكل هذا الى الانسانية جمعاء ، التى لولاها ما كانت حضارته بجميع مظاهرها . ومن شأن هذا كله أن يجعل على الانسان واجبا لا بد أن يؤديه للمجتمع الانسانى الكبير الى جانب مجتمعه الصغير . ولهذا كان من الطبيعى أن تتصور الشخصية السوية التكاملة بأنها تلك التى تسهم فى خدمة الانسانية جمعاء ، وأن تفعل ذلك فى حدود امكانياتها .

٦ ـ الديمقراطية :

ان الشخص السوى هو الذى يعمل للانسانية جمعاء ، كذلك فان الشخص السوى هو الديمقراطى . ففكرة الديمقراطية ـ كفكرة الانسانية ـ ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم الشخصية السوية . فالديمقراطية ليست سوى العناية بالآخرين والاهتمام بهم ووضع قيمة الانسان فوق قيمة الأشياء ، والسعى الى ايجاد علاقات مثمرة مع أى قوم من الناس والعمل على خلق التفاهم وتبادل الرأى والمشورة

والمساعدات بينهم . وان البعد عن هذه الأهداف معناه ـ فى الواقع ـ الخوف من الناس والحد من امكانية انشاء الصداقات ، يعنى أيضا امكانية السيطرة على الآخرين ، وبذلك تتعرض القيم الانسانية للخطر فتنعدم الثقة بين الناس وينعدم التعاون .

٧ ـ مستوى الطموح :

الشخص السوى هو الذى يضع نصب عينيه مثلا ومستويات يسعى للوصول اليها ، حتى لو كانت فى بعض الأحيان بعيدة المنال . فالتوافق المتكامل ليس معناه تحقيق الكمال ، بل معناه الجهاد والعمل المستمر طبقا لخير ما يمكن أن يتصوره الفرد من مبادىء . ولكى يتحقق هذا يجب أن تكون الأهداف واقعية وفى اطار امكانيات الفرد ، حتى لا يتعرض للشعور بالاحباط والاخفاق والفشل .

ان هذا النموذج الذى رسمناه للشخصية السوية ـ باعتبار أنها الشخصية التى تتميز بالقدرة على ضبط الذات وتوجيهها وتحمل المسئولية الذاتية والمسئولية الاجتماعية واعتناق المبادىء الانسانية والقيم الاجتماعية الديمقراطية ـ لا يتضمن تصور الشخصية السوية فى سعادة دائمة ، أو أنها الشخصية الخالية من الصراع ، أو الشخصية التى تعيش دون مشاكل . فالشخص السوى قد يعجز أحيانا عن تحقيق أهدافه ، وقد يدفعه جهله بالعالم المعقد الذى يعيش فيه والضغوط التى يواجهها الى اتخاذ أسلوب غير ملائم من السلوك ، كما لا تخلو تماما من الخوف أو القلق أو الصراع . فمفهوم الشخص السوى اذن لا يتضمن الخلو التام من الخوف أو القلق أو الصراع ، بل ان الذى يميز السوى عن غيره هو طريقة مواجهة الصراع والمخاوف والقلق وليس الخلو منها . والشخص السوى هو الذى يتعلم أن يواجه صراعه واخفاقه بالحكمة بدلا من الشعور بالعداوة الشديدة أو الخوف أو الانطواء ، وهو الشخص الذى يتمتع بدرجة عالية من احترام الذات ومن اجتذاب الآخرين نحوه وحصوله على حبهم وتقديرهم

اياه • وأخيرا فان التوافق المتكامل الذى يميز سلوك الشخص السوى لا يعنى أن يسلك الشخص طبقا لمواصفات جامدة يتعين عليه اتباعها كما هى دون تصرف • فسلوك الأفراد متنوع ومتعدد الى حد كبير ، ويتطلب كل ظرف تصرفا مناسبا كما يتطلب كل زمان ومكان ما يلائمه من السلوك • ويعتبر الشخص سويا فى تصرفاته وفى سلوكه بالدرجة التى يحقق بها سلوكه الامكانيات التى يتميز بها الانسان عن غيره من الكائنات ألا وهى الامكانيات الرمزية والامكانيات الاجتماعية •

وهناك العديد من الآراء التى حددت معالم الشخصية السوية وخصائصها ••

١ ــ فقد حاول « روجرز »[1] مؤسس مدرسة « الارشاد النفسى المتركز حول العميل » أن يوضح الخصائص العامة للشخصية السوية والتى تتلخص فيما يأتى :

(أ) أن يكون الشخص متفتحا ومتقبلا لخبرته مهما كان نوعها ، بمعنى ألا ينكر الفرد أو يشوه أى ادراك حسى أو انطباعات من أجل تجنب خبرة مهددة لتكوين ذاته ، بل انه يسعى الى ادراك خبراته الداخلية مهما كانت غير سارة •

(ب) أن يعيش الانسان بقناعة ذاتية بأن كل لحظة من الخبرة تعنى شيئا جديدا • وهذا يعنى أن لدى الشخص شعورا داخليا بأن يتحرك وينمو وبأنه لا توجد لديه تصورات مسبقة عما سيكون عليه أخيرا كشخص •

(جـ) أن يجد الشخص فى تركيبه وسيلة موثوقا بها للوصول الى السلوك الأكثر اشباعا فى مواقف الحياة الواقعية • وأنه يفعل ما يشعر بأنه الصواب من وجهة نظره ومن تكوين ذاته المعتمد على خبراته •

وهذه الخصائص والصفات تجريبية ، وليست صورا من قبيل

(١) Rogers, G., **Counseling and Psychotherapy. Boston,** Mass : Houghton - Mifflin , 1942, 11.

النمنى • وقـد وصل « روجرز » الى هذه الخصائص من واقع خبرته وتجـاربه الاكلينيكية فقـد لاحظ أشخاصا غير سـعداء ويشـعرون بالتعاسة فى حياتهم ، وعندما استخدم معهم وسـائل الارشـاد النفسى غير المبـاشر لاحظ التغير الذى طرأ على شخصياتهم عنـدما تصـبح الظروف طيبة[1] •

٢ ــ يرى « سوليفان »[2] بأن الدراسـة المحببة للطب النفسى ليست دراسة الشخص كما هو ، بل من حيث علاقاته مع الآخرين • ويرى « سوليفان » أن الشخص يعبر عن الشخصية السوية الى المدى الذى يصبح فيه واعيا بعلاقاته الشخصية المتبـادلة • ويعنى ذلك أن الشخص يحقق الشخصية السـوية اذا كانت معتقداته عن نفسـه وعن الآخرين دقيقـة • وعن طريق المعتقدات والمعلومات الدقيقـة يستطيع الشخص أن يحصل على اشباع وأمن دائمين يراها « سوليفان » كغايات أو أهدافـا رئيسية للسلوك • ويرمز الاشباع ــ فى رأى سوليفان ــ الى اشـباع الحاجات البيولوجية ، ويرمز الأمن الى الحصـول على استجابات من الآخرين حاملة لمعـانى المحبـة والمكانة والتقـدير منهم للشخص •

٣ ــ ويرى «ايريك فروم»[3] أن الشخصية السوية تتحقق الى المدى الذى يظهر فيـه الشخص اتجاها منتجا • والاتجـاه المنتج هو طريقة الفرد لاشـباع حاجاته بطريقة أفضل ، بمعنى أن الانتاجية عبـارة عن انتـاج الأشـياء والظروف الضرورية للنمو والسـعادة • وصـاحب الشخصية المنتجة قادر على استخدام مهاراته ومعلوماته بما يؤدى الى انتـاج كل ما هو ضرورى لجعله سعيدا متمتعا بصحة نفسية سليمة •

---

(١) Rogers, G.; Ibid , 1.

(٢) Sullivan, H.; **The Interpersonal Theory of psychi - atry** New York : Norton. 1953 , p.p. 110 - 111

(٣) Fromm, E.; **Man for Himself** . New York : Holt, 1947, p.p. 82 - 106.

٤ ــ وأوضحت « كارين هورنى »[١] أن علاقة الشخص بذاته الحقيقية هى أساس الشخصية السوية والصحة النفسية السليمة • والشخص المنفصل عن ذاته غير سوى • والشخص الذى يعرف ذاته ويحس بمشاعره وارادته ويقر بمسئوليته تجاه تصرفاته يعبر عن شخصية سوية •

٥ ــ واعتبر « ادلر »[٢] أن « الشعور الاجتماعى » مؤشر الشخصية السوية • ويرمز الشعور الاجتماعى الى الشعور بالتوحد مع كل البشر • وصاحب الشخصية غير السوية ــ بالنسبة لآدلر ــ هو الذى يكرس كل طاقاته للحصول على القوة ليخلص نفسه عن مشاعر النقص ، ويدفع هذا التعويض الشخص الى التنافس مع الآخرين بدلا من سعيه للحصول على تعاونهم معه ومحبتهم اياه •

٦ ــ واعتبر « مازلو »[١] أن « الشخص المحقق لذاته » يتميز بشخصية سوية • ويرمز تحقيق الذات الى عملية تحقيق القوى الكامنة الفطرية فى الشخص • وفى رأيه أن الشخص لا يستطيع تحقيق ذاته حتى يكون لديه رصيد من اشباع حاجاته الأساسية • واذا ما تحققت أو أشبعت هذه الحاجات تماما فانه يستطيع أن يوجه طاقاته لمهمة تحقيق الذات ــ كالانتاج العلمى ، أو العمل الفنى ، أو العمل التنظيمى ، وحدد « مازلو » مجموعة من الخصائص يتصف بها الشخص المحقق لذاته تتلخص فى : ادراك الواقع والتوافق معه ، وتقبله لذاته وللآخرين ، والتلقائية ، والاحساس برسالته فى الحياة ، والاستقلال الذاتى ، والشعور بالانتماء والتوحد مع بنى الانسان ، والعلاقات الشخصية العميقة المتبادلة ، والتمييز بين الوسائل والغايات ، والخلق والابداع ، والحاجة الى العزلة والخلوة الذاتية •

---

(١) Horney, K.; **Neurosis and Human Growth**. New York : Norton, 1950, 1,

(٢) Adler , A. ; **Understanding Human Nature**. New York : Greenberg , 1929, p.p. 30 - 32.

(٣) Maslow. A.; **Motivation and Personality**. New York : Harper, 1954, 12.

٧ ــ لفت « رانك »[1] الأنظار الى « الخلق والابداع » كأساس للسلوك السوى . والشخص الذى يظهر روحا خلاقة هو الذى يتقبل ارادته وفرديته ويؤكدها ، كما أنه لا يخاف التجديد خشية الاختلاف مع الآخرين .

وفى ختام هذه المناقشة عن خصائص الشخصية السوية ، يبدو من المعقول ابراز النقاط الآتية :

اولا ــ يمكن تحليل السلوك الى نتائج مترتبة على اشباع الحاجة . وما دامت الحاجات تشير الى تقدير ما هو فعال لتحقيق غايات متعددة لها قيمة ، فانه يمكن تحديد الحاجات الأساسية للانسان فى الآتى : الحاجات البيولوجية ، والحاجة الى الأمن ، والحاجة الى الانتماء ، والحاجة الى الاعتراف والتقدير ، والحاجة الى تحقيق الذات .

ثانيا ــ يعتبر الاتصال بالواقع من مؤشرات الشخصية السوية ويتصل الشخص بالواقع عندما يكون ادراكه الحسى ومعتقداته صحيحين وأننا نحصل على معتقداتنا عن العالم الذى نعيش فيه عن طريق الادراك الحسى ومن الحدس والذاكرة والخيال . وهذه المصادر عرضة للخطأ كما أن المعتقدات المستمدة منها قد تكون غير صحيحة الا اذا تعرضت لاختبار واقعى . وهذا يعنى مقارنة هذه المعتقدات بالدليل الملموس ودراسة مدى اتفاقها مع معتقدات أخرى راسخة .

ثالثا ــ يحتاج الفرد الى الآخرين لمعاونته فى حل المشكلات التى تعترضه .. فهو يحتاج الى الآخرين ليتصرفوا بطرق تشبع حاجاته التى لا يستطيع أن يشبعها بسلوكه الخاص المستقل . وهو يحتاج الى الآخرين ليسلكوا نحوه بطرق تدعم تقديره لذاته وتجعله يشعر بالأمن أى التحرر من أى خوف أو خطر بالحرمان أو العدوان أو من الأخطار المترتبة على نبذه ورفضه وعدم تقبله من الآخرين . ويستخدم مصطلح

---

(١) Rank, O. ; **Will Therapy and Truth and Reality.** New York : Knopf, 1945, p.p. 111 - 112.

السلوك الشخصى المتبادل للتعبير عن سلوك شخص فى علاقته بشخص آخر ، وهو سلوك صحى تلقائى متغير مرن ، ويعبر عن الذات الحقيقية للفرد .

رابعا ـ للعلاقات الشخصية السوية المتبادلة مميزات أساسية هى :

١ ـ أن لدى كل طرف مفهوم دقيق عن شخصية الطرف الآخر .
٢ ـ يميل كل طرف الى مميزات الآخر ويتقبلها .
٣ ـ يشعر كل طرف باهتمام نحو الآخر وسعادته .
٤ ـ يتصل كل طرف اتصالا كاملا بالآخر .
٥ ـ يفرض كل طرف مطالب وتوقعات معقولة على الآخر .
٦ ـ يحترم كل طرف حق الآخر فى تقرير شئونه .

خامسا : تعتبر ذات الفرد محددا هاما لسلوكه . ويمدنا تكوين الذات بحدود معينة لسلوكنا الصريح ولخبرتنا الذاتية . وبصفة عامة يسعى الشخص الى التصرف بطرق تتفق مع بناء ذاته ، ويقيد أفكاره ومشاعره فى حدودها .

* * *

الشخصية المستقلة

ان فى طبيعة تكوين الانسان استعدادا لكل من الشر والخير . استعدادا لاتباع أهوائه وشهواته والاستغراق فى الاستمتاع بملذاته الحسية ورغباته الدنيوية ، واستعدادا للتسامى الى أفق الفضيلة والتقوى والمثل الانسانية العليا والعمل الصالح ، وما يحققه ذلك من سكينة نفسية وأمن روحى . ومن الطبيعى أن تتضمن طبيعة الانسان وقوع الصراع بين الخير والشر ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين طاعة الله ومعصيته . وان الاختيار الحقيقى للانسان فى هذه الحياة هو ما تتجه اليه ارادته ، وما يقع عليه اختياره . هل سيختار طريق الخير أم طريق الشر ، طريق طاعة الله أم معصيته ؟ هل سينساق الانسان وراء أهوائه وشهواته ، ويغفل

عن ذكر الله ، أم هل سيتحكم فى أهوائه وشهواته ، ويقوم بتحقيق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية ؟

وحينما يختار الانسان الملذات الدنيوية ، وينساق وراء أهوائه وملذاته ، وينسى ربه واليوم الآخر ، انما يصبح فى معيشته أشبه بالحيوان ، بل أضل ، لأنه لم يستخدم عقله الذى ميزه الله تعالى به على الحيوان . قال تعالى :

﴿ ارايت من اتخذ الهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا . أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، ان هم الا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ﴾ . (الفرقان : ٤٣ ـ ٤٤)

والانسان الذى يعيش هذا النوع من المعيشة يكون غير ناضج الشخصية ، ويكون أشبه بالطفل الذى لا يهمه الا اشباع حاجاته ورغباته ، ولم تقو ارادته بعد ، ولم يتعلم بعد كيف يتحكم فى أهوائه وشهواته ، فينساق وراء اشباعها ، ويصبح خاضعا لتوجيه « نفسه الأمارة بالسوء » . قال تعالى :

﴿ وما ابرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ، ان ربى غفور رحيم ﴾ . (يوسف : ٥٣)

وحينما يبلغ الانسان مرتبة أعلى من النضوج ، يبدأ ضميره فى الاستيقاظ فيبدأ فى الشعور بالاستنكار من ضعف ارادته ومن انقياده لأهوائه وشهواته مما يوقعه فى الخطيئة والمعصية ، فيشعر بالذنب ، ويلوم نفسه على ما فرط منها ، ويتجه الى الله تعالى مستغفرا تائبا ، اذ يصبح فى هذه الحالة تحت تأثير « النفس اللوامة » ، التى أقسم بها الله تعالى :

﴿ لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ .
(القيامة : ١ ـ ٢)

واذا أخلص الانسان بعد ذلك فى توبته ، وأخلص فى تقربه لله تعالى بالعبادات والأعمال الصالحة ، والابتعاد عن كل ما يغضب الله ، وتحكم فى أهوائه وشهواته وقام بتوجيهها الى الاشباع بالطريقة التى حددتها الشريعة الاسلامية ، فحقق بذلك التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية ، فانه يصل الى أعلى مرتبة من النضوج والكمال الانسانى ، وهى المرتبة التى تكون فيها نفس الانسان فى حالة اطمئنان وسكينة ، وينطبق عليها وصف « النفس المطمئنة » .

« يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى » .

(الفجر : ٢٧ ــ ٣٠)

ويمكن أن تتصور هذه المفاهيم الثلاثة للنفس : وهى النفس الأمارة بالسوء ، والنفس اللوامة ، والنفس المطمئنة ، على أنها حالات تتصف بها شخصية الانسان فى مستويات مختلفة من النضج التى تمر بها أثناء صراعها الداخلى بين الجانبين المادى والروحى من طبيعة تكوينها .. فحينما تكون شخصية الانسان فى أدنى مستوياتها الانسانية بحيث تسيطر عليها الأهواء والملذات البدنية والدنيوية ، فانها تكون فى حالة ينطبق عليها وصف « النفس الأمارة بالسوء » . وحينما تبلغ الشخصية أعلى مستويات النضج والكمال الانسانى ، حيث يحدث التوازن التام بين المطالب البدنية والروحية ، فانها تصبح فى الحالة التى ينطبق عليها وصف « النفس المطمئنة » . وبين هذين المستويين ، يوجد مستوى متوسط يحاسب فيه الانسان نفسه على ما يرتكب من أخطاء ، ويسعى جاهدا للامتناع عن ارتكاب ما يغضب الله ويسبب له تأنيب الضمير ، ويطلق على الشخصية فى هذا المستوى « النفس اللوامة »[1] .

ومما هو جدير بالذكر أنه بعد نزول القرآن بنحو أربعة عشر قرنا

---

(١) محمد عثمان نجاتى : **القرآن وعلم النفس** ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩

من الزمان جاء « سيجموند فرويد »[1] ــ مؤسس مدرسة التحليل النفسى ــ بنظرية فى الشخصية ميز فيها ثلاثة أقسام للنفس تحمل بعض أوجه الشبه بمفاهيم « النفس الأمارة بالسوء » ، و « النفس اللوامة » ، و « النفس المطمئنة » ، التى وردت بالقرآن الكريم . وقد ذهب « فرويد » الى أن للنفس ثلاثة أقسام هى : « الهو » ، و « الأنا » ، و « الأنا الأعلى » . فـ « الهو » هو ذلك الجزء من النفس الذى يتضمن الغرائز المنبعثة من البدن ، ويتبع « مبدأ اللذة » ويستهدف الاشباع دون مراعاة للأخلاق أو الواقع . و « الهو » بهذا المعنى يشبه الى حد ما مفهوم « النفس الأمارة بالسوء » .

و « الأنا الأعلى » هو ذلك الجزء من النفس الذى يتكون من التعاليم التى يتلقاها الفرد من والديه ومدرسيه ومن قيم الثقافة التى نشأ فيها ، ويصبح قوة نفسية داخلية تحاسب الفرد وتراقبه وتنقده وتهدده بالعقاب ، وهو ما يعرف عادة بـ « الضمير » . ويرى فرويد أن « الأنا الأعلى » يمثل السمو فى الطبيعة الانسانية ، وهو ــ بهذا المعنى ــ يشبه الى حد ما مفهوم « النفس اللوامة » .

و « الأنا » هو ذلك الجزء من النفس الذى يقبض على زمام الرغبات الغريزية المنبعثة من « الهو » ويسيطر عليها ، فيسمح باشباع ما يشاء منها ، ويؤجل ما يرى تأجيله ، ويكبت ما يرى كبته ، مراعيا « مبدأ الواقع » أو العالم الخارجى ، بما يتضمنه ذلك من قوانين وقيم وأخلاق وتعاليم دينية . ويقوم «الأنا» ــ فى رأى فرويد ــ بالتوفيق بين « الهو » ، والواقع أو العالم الخارجى ، و « الأنا الأعلى » ــ بحيث يسمح باشباع رغباته الغريزية فى الحدود التى يسمح بها الواقع ، ويحد من تطرف « الأنا الأعلى » بحيث لا يجعله يسرف فى النقد

---

(١) سيجموند فرويد ، ترجمة محمد عثمان نجاتى : **معالم التحليل النفسانى** (ط ٤) . (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٦) ، ص ٤٥ ــ ٥٠ .

والتهديد بالعقاب بدون مبرر معقول • واذا نجح « الأنا » فى وظيفته التوفيقية أمكن أن يتحقق للانسان الاتزان والسواء والصحة النفسية • وعلى ذلك ، فاننا نستطيع أن نجد شبها بين النتيجة التى يؤدى اليها نجاح « الأنا » فى وظيفته وما يتحقق له من اتزان وسعادة ، وبين حالة « النفس المطمئنة » التى يصل اليها الانسان بالتغلب على أهوائه ، وبتحقيق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية ، مراعيا فى ذلك « مبدأ الواقع » الذى يفرضه نظام الحياة فى المجتمع المسلم من حيث القيام بالعبادات المفروضة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعمل الصالح ، واتباع القيم والمبادىء والأخلاق الاسلامية •

* * *

● **التوازن فى الشخصية :**

سبق أن أشرنا الى أن الحل الأمثل للصراع بين الجانبين البدنى والروحى فى الانسان هو التوفيق بينهما ، بحيث يقوم الانسان باشباع حاجاته البدنية فى الحدود التى أباحتها الشريعة الاسلامية ، ويقوم فى الوقت نفسه باشباع حاجاته الروحية • ومثل هذا التوفيق بين حاجات البدن وحاجات الروح يصبح أمرا ممكنا اذا ما التزم الانسان فى حياته التوسط والاعتدال ، وتجنب الاسراف والتطرف سواء فى اشباع دوافعه البدنية أو الروحية • فليس فى الاسلام رهبانية تقاوم اشباع الدوافع البدنية وتعمل على كبتها ، كما ليس فى الاسلام اباحية مطلقة تعمل على الاشباع التام للدوافع البدنية ، وانما ينادى الاسلام بالتوفيق بين دوافع كل من البدن والروح ، واتباع طريق وسط يحقق التوازن بين الجانبين المادى والروحى فى الانسان • ويشير القرآن الكريم الى ضرورة تحقيق هذا التوازن فى الشخصية بقوله :

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا..»

(القصص : ٧٧)

وحينما يتحقق هـذا التوازن بين البدن والروح ، تتحقق ذاتيـة الانسـان فى صورتها الحقيقية الكاملة ، والتى تمثلت فى شـخصية النبى صلى الله عليه وسلم ، الذى توازنت فيه القوة الروحية الشفافة ، والحيوية الجسمية الفياضة .. فكان يعبـد الخالق ـ سبحانه ـ حـق عبادته ، كما كان يعيش حياته البشرية كغيره من البشر فى حدود الشريعة الاسـلامية . ولذلك فهو يمثل الانسان الكامل ، والشخصية الانسانية النموذجية الكاملة ، التى توازنت فيها جميع القوى الانسانية ـ البدنية منها والروحية[1] .

ولقد شرع الله الاسـلام وجعـل منه نظاما يكفل سـعادة الفرد والجماعة فى الدنيا والآخرة .. ولم يترك عنصرا من عناصر الخير الا أمر به ودعـا وحث عليه ، ولم يترك عنصرا من عناصر الشر والفسـاد الا نهى عنه وحـذر منه . ذلك أن الاسـلام بنى تنظيمه للعالم على الواقع .. وهو أن الانسـان جسم وروح ، وأن للجسم حظا ومتعة ، كما أن للروح حظا ومتعة ، وأن للانسـان شخصية مستقلة عن غيره ، وشخصية بها يكون لبنة فى المجتمع الانسـانى ، وأن له بكل من هاتين الشخصيتين حقوقا وعليه واجبات[2] .

وفى ظل هذا المبدأ العام الواقعى ، وفى سبيل الوصول الى الغاية السامية ، وضع الاسلام المبادىء الآتية[3] :

اولا ـ العقيـدة :

طلب الايمان بمصدر الوجود والخير ، والرجوع اليـه فى كل شىء ، وافراده بالعبادة والتقديس والدعاء والاستغاثة ، حتى لا يذل

---

(١) محمد قطب : **فى النفس والمجتمع** (ط ٢) . (القاهرة : مكتبة وهبـة ، ١٩٦٢) ، ص ٦٢ ـ ٦٣

(٢) محمود شلتوت : **من توجيهات الاسلام** ، ص ٦٥

(٣) محمود شلتوت : **المرجع السابق** ، ص ٦٦ ـ ٧٩

مخلوق لمخلوق ، وحتى يشعر الانسان بعزة نفسه ، ولا يضل باتخاذ الوسطاء والشفعاء من دون الله .

وطلب الايمان بيوم الحساب ، والايمان بمعرفة طريق الحق الذى ارتضاه الخالق لعباده وربط به سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، وذلك الطريق هو : ملائكة الله الذين يتلقون عنه الشرائع والأحكام ، وأنبياؤه الذين يتلقون عن الملائكة ويبلغون الناس ما أمروا بتبليغه ، والكتب السماوية التى هى رسالة الله لعباده . وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين .. ﴾ .

(البقرة : ١٧٧)

ثانيا ـ العبادة :

رسم الاسلام طريق العبادة ، وفرض منها أنواعا عديدة ، جعلها مددا للايمان ، وسبيلا لمراقبة الله ، واعترافا بالشكر على نعمه ، وهى :

١ ـ **الصلاة** : فرض خمس صلوات فى اليوم ، يقف فيها الانسان بين يدى خالقه ومولاه يناجيه ويستشعر عظمته ، ويريح نفسه فى فترات متكررة من سلطان الحياة المادية وطغيانها .

٢ ـ **الصوم** : وفرض صوم شهر فى السنة ـ وهو شهر رمضان ـ شكرا على نعمة نزول القرآن ، وتدريبا على تنمية الصبر للمساعدة على احتمال الحياة .

٣ ـ **الزكاة** : وفرض الزكاة ـ وهى اخراج جزء معين من المال فى سبيل الله ـ شكرا على نعمة المال ، وقياما بحق الجماعة .

٤ ـ **الحج** :وفرض الحج اعلانا لشعار الايمان العام ، وهو الالتجاء الى الله مع جماعة المؤمنين ، متجردين من مباهج الحياة الدنيوية ، ابتغاء مرضاة الله ، وتذكرا ليوم الميعاد ، وجمعا لكلمة الموحدين ، واحياء لذكرى المصلحين الأولين الذين اصطفاهم الله لانقاذ عباده من هوة الضلال .

فرض الله ــ سبحانه ــ هذه العبادات ، وأوضح على لسان رسوله الكريم كيفيتها ومقاديرها وأوقاتها ، ووحد بين الناس فى كل ذلك حتى لا تتشعب أهواؤهم ، وحتى يكون ذلك سبيلا لجمع القلوب وائتلاف الأرواح ، والشعور بوحدة الغاية والمقصد .

ثالثا ــ العلم :

حث الاسلام على العلم والمعرفة ، وتخليص العقل البشرى من أغلال التقليد والجمود ، ودفع به الى معرفة أسرار الله فى خلقه .. مائه وهوائه ، أرضه وسمائه ، وذلك لتدعيم وتقوية الايمان بالله ، ولاسعاد الناس باستخدام ما يدركون من أسرار هذا الكون الذى أخضعه الخالق ــ سبحانه ــ لخدمة الانسان فى حياته .

ومن هنا ــ أعلى الاسلام شأن العلماء الذين خاضوا غمار هذا الكون ، وانتفع الناس بما أدركوا ، فقال تعالى :

● ﴿ .. **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** .. ﴾ .
(الزمر : ٩)

● ﴿ .. **انما يخشى الله من عباده العلماء** .. ﴾ .
(فاطر : ٢٨)

وفى سبيل الحث على العلم حارب الاسلام الأمية وأوصى بتعلم الكتابة .

رابعا ــ المال :

١ ــ **الأمر بتحصيل الأموال** : أمر الاسلام بتحصيل الأموال ، وقرر أنها قوام للناس وعصب لحياتهم ، وجعل السعى فى تحصيلها من الأمور المشروعة ــ وهى الزراعة والتجارة والصناعة ــ عديلا لعبادة الله ، فقال تعالى :

● ﴿ فاذا قضيت الصـــلاة فانتشروا فى الأرض وابتغـــوا من فضـــل الله واذكـروا الله كثـيرا لعـلكم تفلحون ﴾ .

(الجمعة : ١٠)

● ﴿ هو الذى جعـــل لـكم الأرض ذلـولا فامشـــوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور ﴾ . (الملك : ١٥)

٢ ـ **الأمر بالمحافظة على الأموال** : وأمر الاسلام بالمحافظة عليها ، ونهى عن تبذيرها ، وجعل فيهـا حقـا للفقير الذى لا يسـتطيع العمل وللمصالح العامة . قال تعالى :

● ﴿ وآت ذا القربى حقـه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا . وامـا تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا . ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ .

(الاسراء : ٢٦ ـ ٢٩)

● ﴿ وانفقـــوا فى ســـبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكـــة واحسنوا ، ان الله يحب المحسنين ﴾ . (البقرة : ١٩٥)

● ﴿ ولا تأكلوا امـــوالكم بينـــكم بالبـاطل وتدلـوا بهـــا الى الحكام لتـــاكلوا فريقـا من اموال النـــاس بالاثم وانتم تعلمون ﴾ .

(البقرة : ١٨٨)

● ﴿ يـــا ايهـــا الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمـون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وان تصـــدقوا خير لكم ، ان كنتم تعلمون ﴾ .

(البقرة : ٢٧٨ ـ ٢٨٠)

٣ ـ **النهى عن التبذير** : وبجانب هـــذا قرر الاســـلام أن الترف منبع شر ، يقضى على أخضر العالم ويابسه . قال تعالى :

● ﴿ وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون . وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ﴾ .

(سبأ : ٣٤ ـ ٣٥)

● ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما آخرين . فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون . لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون . قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين . فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ﴾ .

(الأنبياء : ١١ ـ ١٤)

وبذلك حارب الاسلام القائمين على الأموال الذين لهم فيها حق التصرف ـ مالكين أو مشرفين ـ حارب فيهم الترف والتبذير فيما لا يعود بخير على الأمة ، وجعل للحكام الحق فى أن يقفوا للمسرفين بالمرصاد ، حتى يحتفظوا بأموال الله التى استخلفهم فيها .

خامسا ـ العرض :

أمر الاسلام بحفظ العرض احتفاظا بعنوان الشرف والكرامة ، واقتلاعا لبذور الفوضى الجنسية التى تقضى على نظام الأسرة والأنساب ، وقرر أن الاختصاص فى الحياة الجنسية كالاختصاص فى الملكية الشخصية ، كلاهما عنصر من عناصر الحياة الآمنة الشريفة ، وبفقدهما تنفصم العرى وتنقطع الروابط ، ويصير الانسان الى اباحية مطلقة أو قسوة ووحشية .

سادسا ـ الصحة :

أمر الاسلام بالمحافظة على الصحة .. فأمر بالوقاية من المرض وحذر من العدوى وحث على التداوى والعلاج ، وأباح للمريض التيمم ، كما أباح الفطر فى المرض والسفر والحمل والنفاس والارضاع

والشيخوخة .. كل ذلك عناية بالصحة ووقاية من الأمراض . ويبنى الاسلام أوامره على الواقع .. والواقع أنه لا علم الا بالصحة ، ولا جهاد الا بالصحة ، ولا عمل الا بالصحة .

سابعا ـ العقل :

أمر الاسلام بحفظ العقل الذى هو ميزان الخير والشر فى الحياة . فحرم كل ما يفسده أو يضعفه . قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ .

(المائدة : ٩٠)

ثامنا ـ حفظ الجسم والروح :

مكن الاسلام الانسان من حفظ الجسم ، وأباح له التمتع بالطيبات فى مأكله ومشربه ، وفى ملبسه ومسكنه ، بحسب وسعه وقدرته دون اسراف أو تبذير ، وأباح للانسان التمتع بحاجة نفسه من الزوجة والمال والولد ، ومكنه من متعة الروح بالعلم والرياضة ، وعن طريق الفكر والتدبر فى جلال الله سبحانه ، وما خلق من آيات وعجائب . قال تعالى :

● **﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾** . (الأعراف : ٣٢ ـ ٣٣)

● **﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون ﴾** .

(المائدة : ٨٧ ـ ٨٨)

تاسعا ـ القوة :

أمر الاسلام ، حفظا لكيان الدولة ورد غائلة المعتدين ـ بتحصيل القوة واتخاذ العدة التى بها يكافح الأعداء . قال تعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون ﴾ .

(الأنفال : ٦٠)

وقد أرشدت الآية الكريمة الى أن القوة ليست فى نظر الاسلام الا طريقا من طرق الاصلاح ، وسبيلا من سبل السلم بارهاب المفسدين ورد المعتدين ، وتقوية جانب الخير بشد ازر المصلحين ، وأنه لا يقرها طريقا للاذلال والتخريب ، واخراج الناس من ديارهم وسلب أموالهم والتضييق عليهم فى الحياة ، ولا يريدها اكراها للناس على اعتناق الدين . قال تعالى :

﴿ لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ﴾ .

(البقرة : ٢٥٦)

عاشرا ـ المساواة :

قرر الاسلام المساواة بين الناس ، وقضى فى الحقوق والواجبات على الفوارق فى هذا المجال ، وأعلن فى صراحة لا تعرف المواربة أنهم جميعا من نفس واحدة . قال تعالى :

● **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا ﴾ .**

(النساء : ١)

● ﴿ يـا أيهـا النـاس انـا خلقناكم من ذكـر وانثى وجعلناكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا ، أن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

(الحجرات : ١٣)

حادى عشر ـ التشريع :

وضع الاسلام أصول التشريعات والأحكام المنظمة لحياة الانسان . وكان سـبيله فى ذلك أنه لم يترك الناس يشرعون لأنفسـهم فى كل شىء ، ولم يقيدهم بتشريع معين فى كل شىء ، وانما نص وفوض .. فلقـد نص على أحكام ما لا تسـتقل العقول بادراك الخير فيـه ، وما لا يختلف باختلاف الأزمنة والأماكن والأشخاص ، ثم فوض فيمـا وراء ذلك ـ أى معرفة ما تقضى به المصلحة ـ لأرباب النظر والاجتهاد فى حدود أصوله العامة ، وبذلك حفظ الاسـلام للعقل الانسانى كرامته ، وصانه فى ذات الوقت من الاضطراب والفوضى .

ثانى عشر ـ تنمية المجتمع :

شد الاسـلام أزر المبادىء الأخلاقية ـ التى لا بد منها فى أصل الحياة وحفظها ـ بجملة من الآداب الفردية والاجتماعيـة ، تخلع على الانسان فى شخصه ومجتمعه حلة البهاء الانسانى والاستقرار النفسى ، وتقيه شرور التدهور والانحلال ، وذلك على النحو التالى :

١ ـ ففى أدب التواضع ، وانشغال الانسان بما لا يعنيه ، وسعيه وراء الظنون الفاسـدة والخواطر السيئة ، قال تعالى :

● ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختـال فخـور . واقصـد فى مشـيك واغضض من صوتك .. ﴾.

(لقمـان : ١٨ ـ ١٩)

● ﴿ ولا تقف ما ليس لك بـه عـلم ، ان السـمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنـه مسـئولا . ولا تمش فى الأرض مرحـا ، انـك لن تخـرق الأرض ولن تبلغ الجبـال طولا . كل ذلك كان سـيئه عند ربك مكروهـا ﴾ .

(الاسراء : ٣٦ ـ ٣٨)

● ﴿ يـا ايهـا الذين آمنـوا اجتنبـوا كثـيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسـوا ولا يغتب بعضـكم بعضـا ، أيحب أحـدكم ان ياكل لـحم أخيـه ميتـا فكرهتموه ﴾ .

(الحجرات : ١٢)

٢ ـ وفى ادب الزيارة ، قال تعالى :

● ﴿ يـا ايهـا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيهـا أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيـل لكم ارجعوا فارجعوا ، هو ازكى لكم ، والله بما تعملون عليم ﴾ . (النور : ٢٧ ـ ٢٨)

٣ ـ وفى سد ابواب الفتنة الجنسية ، قال تعالى :

﴿ قل للمؤمنين يغضـوا من ابصـارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لـهم ، ان الله خبير بمـا يصـنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصـارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن .. ﴾ . (النور : ٣٠ ـ ٣١)

٤ ـ وفى الأدب الاجتماعى ، قال تعالى :

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خـيرا منهم ولا نسـاء من نسـاء عسى ان يكن خـيرا منهـن ولا تلمزوا أنفسـكم ولا تنـابزوا بالألقـاب ، بئس الاسـم الفسـوق بعـد الايمـان ، ومن لـم يتب فاولئك هـم الظـالمون ﴾ .

(الحجرات : ١١)

٥ ـ وفى ادب تلقى الأخبار واذاعتها ، قال تعالى :

﴿ يا ايهـا الذين آمنـوا ان جـاءكم فاسـق بنبـا فتبينوا أن تصـيبوا قومـا بجهـالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ .

(الحجرات : ٦)

٦ ـ وفى معاملة المسالمين المخالفين فى الدين ، قال تعالى :

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين ﴾ .

(الممتحنة : ٨)

رابع عشر ـ أساس الحكم ومصادر التشريع :

ذكرنا جملة المبادىء الأصلية التى وضعها الاسلام سبيلا للحياة الطيبة ، وقد صانها الاسلام ، فوضع العدل والشورى أساسين للحكم فيها ، وأوضح مصادر التشريع التى يتجه اليها المشرعون فيما يحتاجون من أحكام .. ففى العدل ، قال تعالى :

● ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ... ﴾ . (النساء : ٥٨)

● ﴿ .. واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى .. ﴾ .

(الأنعام : ١٥٢)

● ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى .. ﴾ .

(المائدة : ٨)

وفى مبدأ الشورى ، قال تعالى :

● ﴿ وشاورهم فى الأمر .. ﴾ . (آل عمران : ١٥٩)

● ﴿ .. وأمرهم شورى بينهم .. ﴾ . (الشورى : ٣٨)

وفى بيان مصادر التشريع ، قال تعالى :

﴿ يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول .. ﴾ .

(النساء : ٥٩)

ولم يقف الاسلام فى صيانة هذه المبادىء عند جانب الحكم ، بل اتجه الى الناس جميعا وأمرهم بتقوى الله فيها والتزام حدوده منها ، وحذرهم مخالفتها ، ودعاهم الى الاعتصام بحبلها والتضامن فيها والتواصى بها ، حاكمين ومحكومين ، رعاة ورعايا .. فقال تعالى :

● ﴿ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ .

(آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣)

● ﴿ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون ﴾ .

(آل عمران : ١٠٤)

● ﴿ واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ، ان الله مع الصابرين ﴾ .

(الأنفال : ٤٦)

* * *

وبعد ..

فهذا هو الاسلام ، وهو دين الله الذى ارتضاه لعباده ، ينظمون به حياتهم ، ويخرجهم من الظلمات الى النور .. بعث بأصوله الرسل وبينه فى الكتب ، ثم أكمله بما يناسب رقى الانسان فى القرآن الكريم ، وعلى يد خاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم ، أجملناه فى هذه الكلمات ليكون منارا يسترشد به المسترشدون فى ظلمة الالحاد والانحراف . وليكون تبصرة وذكرى لأولى الألباب ، وليكون حدا فاصلا بين الحقيقة التى أنزلها الله ، وبين الانحراف الذى تفكك به المسلمون . قال تعالى :

● ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ .

(الأنعام : ١٠٤)

● ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون . اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ .

(الحديد : ١٦ ـ ١٧)

* * *